

## تزامناً مع بداية النهاية "للفرز الوطني العظيم" الانتخابات تزيد التقارب

### بين منظمة الشباب التقدمي والتيار الوطني الحر

بقلم سعد الدين عمرو

جريدة السفير ٣١/٨/٢٠٠٠

كانت مدهامة أجهزة أمنية لمخيم شباب <<التيار الوطني الحر>> في بجه جبيل قبل نحو شهر، حيث أُجبروا على تفكيك الخيم قبل أن يتابعوا برنامجهم تحت الرقابة، بمثابة مصادفة معبرة مع دعوتهم منظمة الشباب التقدمي للمشاركة معهم في الجلسات الحوارية في اليوم الثالث للمخيم.

بات التضيق الأمني هما مشتركا لدى شباب التيارين على الرغم من وطأته الأشد بكثير على <<التيار الوطني الحر>>. فقد إستجد الهاجس الأمني مؤخرا لدى <<التقدمي>> في أكثر من مناسبة، ولكن من دون أن يصل الى درجة الإعتقالات. وكان هذا الهاجس، بالإضافة الى الإستبعاد السياسي، صار يضيف حميمية وربما عسبا أساسيا لتقارب كل من التيارين.

يعيد أحد شباب <<التيار>> بداية الإلتقاء مع <<التقدمي>> إلى اوائل التسعينات حين احتفى شابان ملاحقان أمنيا في غرفة نوم في الجامعة الاميركية تخص شابا من <<التقدمي>>، فيما ترد بداية الإلتقاء الى مشاركة <<التقدمي>> في تظاهرات تلفزيون المر حين منع الجنرال عون من الظهور الإعلامي. إلا أن التقارب الفعلي إبتدأ منذ حوالي ثلاثة أعوام. فلم يكن قبل ذلك شباب <<التيار>> قد تأطروا في <<لجنة الشباب والشؤون الطلابية>> والتي ترافقت مع الإفتتاح على اطراف مختلفة، جنبا الى جنب مع الابتعاد عن حساسيات الحرب. وكان اللقاء الاول على مستوى قيادي بين النائب وليد جنبلاط ووفد من <<التيار>> من بينه الدكتور كمال اليازجي، مسؤول لجنة الشباب حينها وإذا كان <<التيار>> قد وجد صعوبة في التقارب مع اطراف مسيحية في مناطق تواجد، فإن <<التقدمي>> كان قد تذوق مرارة التحالف مع شباب <<الفرز الوطني العظيم>>، على حد تعبير وائل ابو فاعور، حيث شرب الشاي واللقاءات الشعائرية.

تجربة <<التقدمي>> كانت ثقيلة إبتداء من تجربة إتحاد شباب لبنان الذي تحوّل الى جهاز شبه رسمي، مرورا بالتحالفات كافة حيث <<شعرنا أن هذه الجبهة تأسرننا، وصرنا كالحراس عليها>>. وإثر الضوء الاخضر من قيادات التيارين، بدأ التقارب بينهما وتعاوننا في حملات الزواج المدني والبلديات وخفض سن الاقتراع والتقارب في مسألة إتحاد طلبة الجامعة اللبنانية، وصولا الى تظاهرة المتحف المطالبة بالحريات، والتي مورست أثناءها ضغوط أمنية بوجه <<التقدمي>> لثنيه عن المشاركة فيها، عدا عن إستياء في اوساط من الحزب التقدمي الإشتراكي نتيجة <<إندفاع>> شبابهم.

غير أن مواقف جنبلاط الاخيرة التشديد على الحريات والحد من تدخل الاجهزة الامنية والدعوة الى تصحيح العلاقات اللبنانية السورية، ساهمت في تقارب إضافي لشباب التيارين، وهو ما تزامن مع الدعوة التي وجهها عون الى الحوار وتشكيل جبهة وطنية يشارك فيها جنبلاط. وبالترافق مع ذلك، إتفق شباب الطرفين في المخيم الاخير على نقاط للحوار حول: الشباب والحريات، الاحزاب والنظام السياسي، والعلاقات اللبنانية السورية.

يترجّ التّقارب من قيادات التيارين الى مسؤولي منظمتهما الشّبابيتين، كأنما اطلق سراحهما فتجاوزت القواعد الشّبابية للمرة الاولى اثناء مخيم بجة. وأقل ما ادى إليه الحوار هو تبديد إنطباعات مسبقة كقول منال من <<التقدمي>> انها حسبت <<العونيين>> كلهم طائفيين فتبين لها ان معظم المشاركين علمانيون. ولم يخل النقاش من حوار داخل التيار الواحد مثل تشديد شاب من <<التيار>> على الفوارق الثقافية، <<فالبعض شرب الارجيلة فيما يفضل آخرون قراءة كتاب <<فرانسي>>، فأكد له شاب من <<التيار>> انه يشرب النرجيلة ويقرأ كتباً فرنسية..

ثمة إجماع حول الحريات، وتقارب في الاعتراض على النظام السياسي، وإن كان شباب <<التيار>> رافضين كلياً لنظام الطائف، علماً أن مواقف عون الاخيرة. أقل حدة من السابق وبطال التقارب سلبيات الشق الاقتصادي للعلاقة مع سوريا، عدا عن تنظيم العمالة السورية وإعادة النظر في العلاقات السياسية والامنية، وإن كان الاختلاف بينهما يظهر حول توصيف طبيعة العلاقات الحالية، بالترافق مع بقاء خلافات يصل اقصاها في <<ملامسة عنصرية تجاه السوريين لدى بعض العونيين>>.

اللافت هو أن التقارب حول قضايا حالية لا يطل الاختلاف الكبير حول الماضي، اي الحرب وما قبلها، على الرغم من أن كليهما بدأ بإعادة النظر في بعض المسلمات. ويساهم هذا التمسك بمواقع الماضي المختلفة في إنحصار كل منهما في منطقته الطائفية؛ علماً أنهما إتفقا على متابعة الحوار على مستوى القواعد الشّبابية. ولا تبدو احاديث جنبلاط عن <<حرب الآخرين كما قال غسان تويني>> و <<معركة الخوخ اللبناني>>، الشبيهة ببيع شباب <<التيار>> لمنتجات زراعية لبنانية، مراجعة لنهج سابق بقدر ما تبدو إستنفاراً للعصبيات لا سيما أنه يجاري مشروع الرئيس الحريري الاقتصادي غير المكترث بالحد الأدنى المقبول لتحسين شروط دخول لبنان الى الاسواق العالمية، عدا عن المديونية الهائلة وغيرها من القضايا الاقتصادية التي كانت مساهمة العهد الجديد التذكير بها ليس إلا.

غير أن جنبلاط يبدو صادقاً الى درجة كبيرة في تواضع مشروعه الحالي التغييرى الى حد ما. وكانت البداية بتحصنه في الجبل مستنفرًا الدروز ومنفتحاً على المسيحيين، فيما بارك تسليم مفاتيح الساحل الى الزعامات التقليدية ذات الصراعات البعيدة عن اعادة الاعتبار للسياسة.

جنبلاط الاب كان يعود الى قاعدته الدرزية، وبعدها يطمئن الى حضوره فيها، يهبط الى الساحل بخطاب أكثر وطنية ويأخذ عليه البعض أنه وجد في الفلسطينيين جسراً يمر من فوق المسيحيين بإتجاه الشارع الاسلامي. يبدو ان الابن يجري حالياً تعديلاً جوهرياً على <<الخطة>>.

ويمكن على الأقل ملامسة هذا التفاؤل لدى منظمة الشباب التقدمي التي عزز <<التيار اليساري>> من مواقعها فيها، فيلقى الحديث عن صيغة <<العيش المشترك>> كما التحالف مع الحريري تحفظاً لديهم وإن كانت البدائل قليلة وهم يدركون جيداً ان طريقهم ليس بالهين مع وجود التيار ذي الولاء الشخصاني . ويعطي احدهم مثلاً إبان حملة الزواج المدني حين جهدت <<المنظمة>> في إقناع الشباب بالتوقيع عليها قبل ان يصرح جنبلاط عن تأييده للزواج المدني فأنهالت التواقيع من كل الجهات، علماً ان كثرة منهم غير مقتنعة بالمبدأ.

يتبدى بوضوح أكبر أن ما يجمع كلاً من التيارين <<الوطني الحر>> و <<التقدمي>> صار يتعدى العصب الامني وإن كانت مواجهته ذات اهمية قصوى لديهما، وهما اكثر تيارين ينتقدان <<عسكرة النظام>> وتتبعته. وإن كان شباب <<التيار>> قد تزايدت حدة إدراكهم لهذه <<العسكرة>> مع كل موقف، فإن

جنبلاط المنتصر في الانتخابات اعترض بوضوح على خطاب القسم الذي اعتبر انه ذو النبرة العسكرية. <<التيار الوطني>> ناقش بدوره بإستفاضة اكبر، هذه المرة، موضوع المشاركة في الانتخابات ، وخلص الى نتيجة المقاطعة، ولكن من دون مهرجانات، مدركا أن << الذي سيختار التصويت سيكون حتما الى جانب من يعارض بجدية>> كما صاغه بعناية زياد عيس، وقد رحّب عون بفوز <<المعارضين الحقيقيين>> بعدما دعا الى تشكيل <<جبهة وطنية>>. والواضح ان عون يستعد للانتقال من حافة السياسة الى داخلها.

شباب <<التيار>> هم حديثو العهد في الانفتاح على قوى أخرى مثل بقية التيارات التي ظلت الحرب تحدّها، وهو ما يؤكده وليد الاشقر من <<لجنة الشباب>> قائلا: <<شبابنا غير معتادين كثيرا على الحوار>>. ولا يحجب ذلك أن أوساطا شبابية في <<التيار>> تمكنت من الحوار والتحالف مع قوى شبابية تبحث بدورها عن خيارات غير معلبة او مستهلكة.

من الواضح الآن ان الطرفين يبحثان عن قوى أخرى للتعاون. أحبّ عون أن يقول ذلك على طريقته قائلا: << إن كان الجبل في موقع القلب من لبنان فهو ليس كل لبنان>>. غير انه لم تظهر أي بوادر تغيير على الشارع الاسلامي بعد في ما يخص تجديد الحياة السياسية اللبنانية. وسابقا، وجد كمال جنبلاط في عبد الناصر حليفا اجاد التخاطب مع فئات واسعة من الشارع الاسلامي الطامحة الى التغيير في حينها، لكن كليهما فشل في ذلك وصار جزءا من الإنقسام.

لعل بعض ما يميز جنبلاط عن عون هو قدرته الاكبر على التفاعل مع الشارع الاسلامي. ويمكن له ان يقف حاجزا في وجه الاستزلام مما يستدعي البحث عروبة أخرى.